المحور الثاني: النمو العمراني و التوسع المجالي

1- تعريف العمران

يعتبر العمران من أهم المظاهر التي توضح الحضارة الإنسانية، وهو شكل من أشكال تفاعله مع العناصر الطبيعية للبيئة، كما يُعد العمران ونمط السكن محصلة للتفاعل بين الثوابت الجغرافية والمتغيرات التاريخية، هو فرع من فروع الجغرافيا البشرية التي تتعلق في موضوعين أساسيين هما جغرافية العمران الحضري ، وجغرافية العمران الريفي ، حيث تهتم جغرافية العمران الحضري بدراسة المدن وتطورها، وموضعها وموقعها، وتوزيعها، وحجمها السكاني والعمراني.

كما تعبّر كلمة "**العمران**" عن ظاهرة التوسع المستمر الذي تشهده المدن بشكل متواصل مع مرور الزمن.

2- مفهوم النمو العمراني

يقصد بالنمو العمراني زيادة مساحة المنطقة المبنية في التجمعات السكنية سواء في المدن أو الضواحي أو القرى وذلك بزيادة المساكن والبنية التحتية والخدمات الأخرى لتلائم الزيادة السكانية.

كما أن النمو العمراني هو ازدياد في حركة العمران كنتيجة طبيعية للزيادة السكانية الطبيعية والهجرات المتتالية من الريف وهي حالة امتداد للمدينة وتداخلها في ضواحيها الريفية المحيطة لسد احتياجات السكان المتزايدة من المأوى والخدمات.

ويتخذ النمو العمراني أساليب وأنماط مختلفة متأثرا في ذلك بمجموعة من العوامل المحفزة والمحددة وتظهر هذه العوامل في صورة عوامل طبيعية، عوامل صناعية وعوامل عمرانية...إلخ.

3- أساليب النمو العمراني

نتيجة لتواجد عوامل جذب في منطقة معينة داخل المدينة يبدأ النمو العمراني في الانتشار متخذا أحد الأساليب التالية:

3-1- الزحف: اتخذت بعض المدن في نموها العمراني أسلوب الزحف نحو المناطق المحددة للتوسع وبشكل تدريجي من المناطق القديمة إلى المناطق الجديدة ومتجانس من حيث الوظيفة وبدون ترك فراغات.

3-2-القفز: هي الطريقة التي تنمو بها المدينة بشكل غير منتظم وغير متجانس حيث تظهر تجمعات سكنية مبعثرة لوجود محددات طبيعية وبشرية تحول دون استمرار نموها العمراني، أو يكون لأسباب أخرى اقتصادية واجتماعية يكون المظهر العام لعمران المدينة ممزق وغير متجانس.

3-3- الملأ: هو الأسلوب الذي يتجه فيه النمو العمراني إلى استغلال المناطق الفضاء داخل المنطقة الحضرية.

وهذا كما يوضحه الشكل (01).

شكل رقم (01): أساليب النمو العمراني

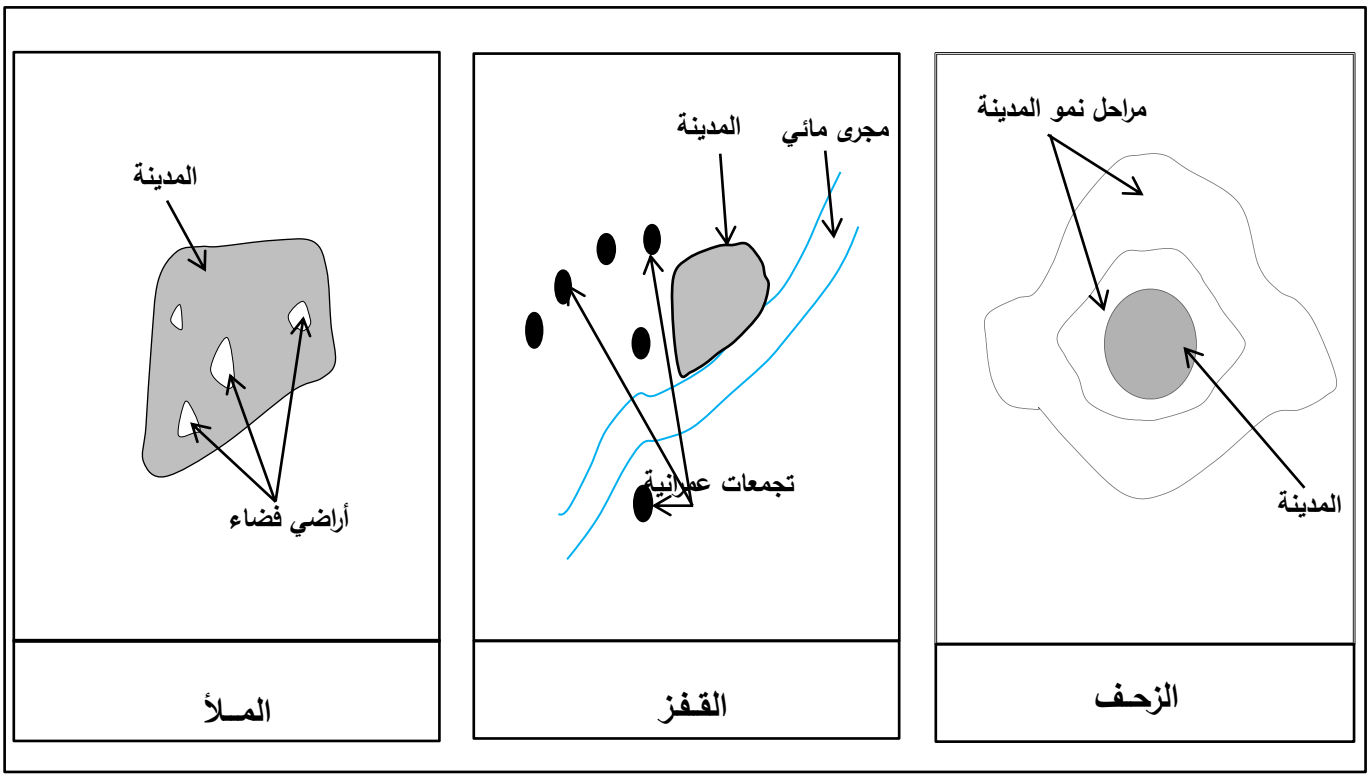

4- أنماط وأشكال النمو العمراني

يعتبر النمو العمراني أمرا حتميا لابد منه، و يحدث هذا النمو في صورة مراحل تاريخية ولا يكون أمام هذا النمو سوى النطاق المحيط بها- إقليمها-، ويتخذ هذا النمو نمطين هما: شكل (02).

شكل رقم (02): أنماط وأشكال النمو العمراني

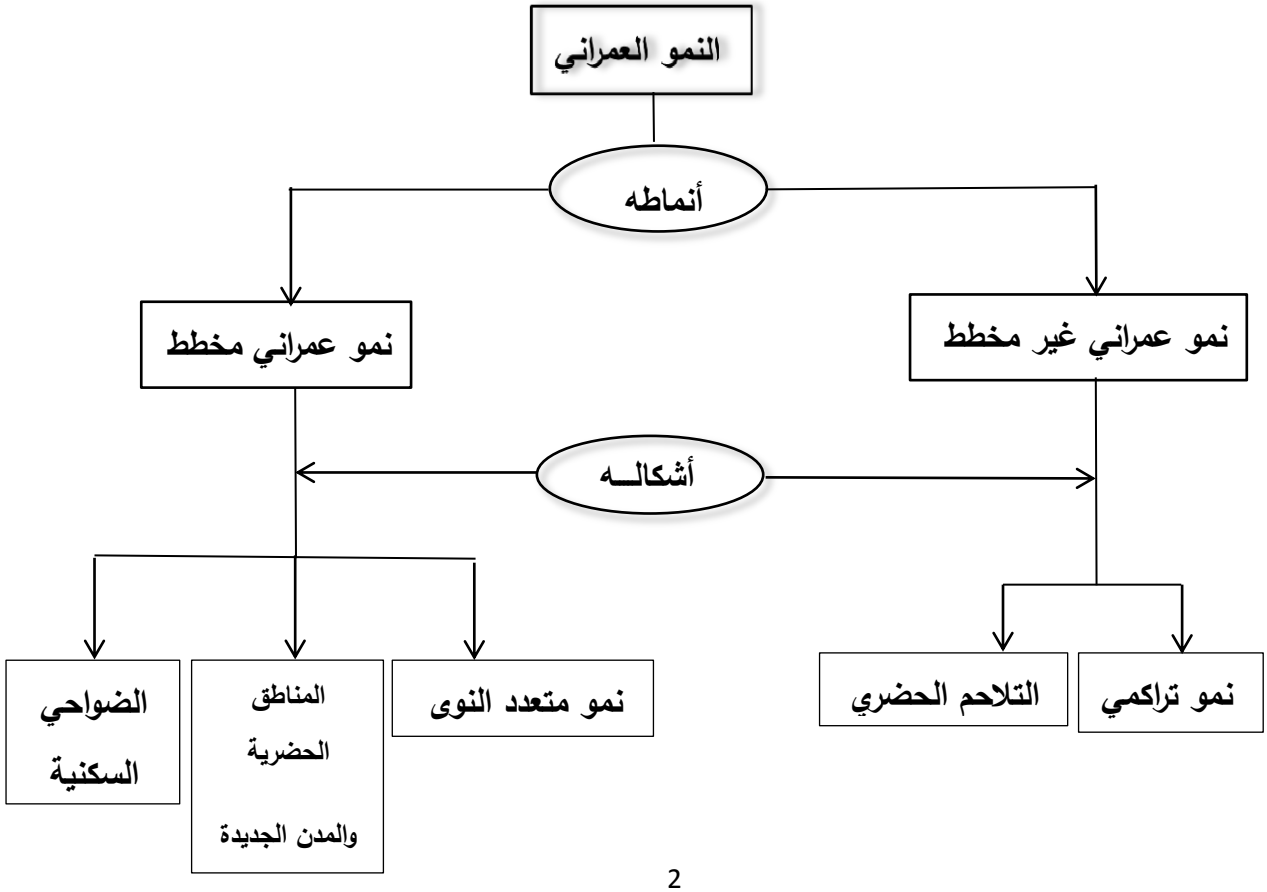

4-1- النمو العمراني غير المخطط

هو النمو الذي يظهر خارج نطاق الكتلة العمرانية الرئيسية للمدينة في غفلة من القوانين والتشريعات الخاصة بالعمران ثم يصبح أمرا واقعا يتم تقنينه والتعامل معه كما هو وإتمام جميع الإمدادات الخاصة بالبنية الأساسية والمرافق دون النظر لمدى شرعية هذا النمو من عدمه ويكون هذا الامتداد في صورة كتل عمرانية جديدة متاخمة للعمران القائم أو نقاط تجمع عمرانية منفصلة عن العمران القائم، ويصبح هذا النمو أمرا واقعا وجزءا لا يتجزأ من الكتلة العمرانية للمدينة الأم وحملا كبيرا على خدمات ومرافق هذه المدينة. وينقسم هذا النمو إلى شكلين هما:

4-1-1- النمو العمراني التراكمي: هو أبسط نمو عرفته المدينة ويتم بملأ مساحات الفضاء داخل المدينة أو عند أقرب مكان من سور المدينة إن كانت مسورة وهذا ما حدث في الماضي، ثم تهدمت الأسوار وحلت محلها شوارع دائرية وبحلقات متتالية.

وللمواصلات دور في خلق نمو تراكمي نجمي أو إشعاعي ممتد من المدينة إلى خارجها، وكلما زاد حجمها طالت أذرعها ثم ما تلبث أن تمتلئ الفراغات بين الأذرع.

4-1-2- التلاحم الحضري (الأطراف الحضرية): توسع المدن نحو المناطق المحيطة بها زراعية أم غير زراعية أدى إلى ظهور منطقة انتقالية، تعرف بالأطراف الحضرية، وبالتوسع تتداخل المدينة بالريف أي تتداخل الأطراف الحضرية مع أطراف الريف وبشكل غير متجانس حول المدينة، كما تتداخل الأطراف الحضرية مع الضواحي، والكل يدخل ضمن مركب الإقليم الحضري. وتظهر مباني في حواف المدينة كتجمعات ممتدة، لا يجوز إطلاق اسم ضواحي عليها لتبقى تأخذ سمة الأطراف الحضرية.

4-2- النمو العمراني المخطط

هو النمو المندرج في المخططات الإقليمية والتنموية للمدينة كمناطق طبيعية للتوسع والامتداد المستقبلي ويكون موضوعا في الاعتبار عند وضع المخطط وعمل الدراسات اللازمة له، وبذلك تكون له صفة الاستقرار والدوام ويكون له من الخدمات ما يفي بحاجة السكان وكذلك به فرص العمل الخاصة بقاطنيه والتي تعمل على الاكتفاء الذاتي لهذه المناطق، ولا يعتمد على المدينة الأم إلا في الخدمات الإقليمية، ومن الممكن لهذا النمو أن يكون (مدناً تابعة – المناطق حضرية الجديدة – ضواحي سكنية). وينقسم النمو العمراني المخطط إلى ثلاث أشكال وهي:

4-2-1- نمو متعدد النوى: يأخذ التوسع هنا شكلا مخالفا عما ظهر في النمو غير المخطط للمدينة حيث يعتبر النمو متعدد الأنوية على النقيض من النمو التراكمي ويكون هذا النمو في أول مراحله متمثلا في ظهور نواة عمرانية جديدة (مدينة صغيرة) على مقربة من المدينة القديمة ولكن عندما يمتد إلى المدينة فإنه يأخذ بذلك صورة مركبة.

وهو يعني أيضا ظهور مدينة جديدة إلى جوار المدينة القديمة تلبية لرغبة الانفصال أو التجدد أو طلبا للخدمات والراحة وقد تنشأ المدن الجديدة نشأة ذاتية وتأخذ شكلا خاصا، إلا أنها ترتبط بعلاقات مع المدينة الأصلية القائمة الأولى وهي قد تنشأ حول محطات سكك الحديد أو عبر النهر إن وجد بالمدينة القديمة أو حول المصانع التي هجرت المدينة الأم إلى الريف القريب.

4-2-2- المناطق الحضرية والمدن الجديدة

واجه نمو بعض المدن عوائق فاتجه التفكير إلى إقامة مناطق حضرية أو مدن جديدة (سواء كانت مستقلة أو شبه مستقلة أو تابعة للمدينة الأصلية) وتتصل ببعضها بطرق مواصلات جيدة تؤمن سهولة الاتصال بين المدينة الأصلية والمدن الجديدة وخاصة التابعة منها، كما تكون تلك الطرق مشجعة على انتشار المؤسسات الصناعية والتجارية على امتدادها، وغالبا ما يكون بين المدينة الأصلية والمدينة التابعة فراغ يستمر النمو نحو بعضهما حتى يلتقيا معا فيكونان مدينة كبيرة.

4-2-3- الضواحي السكنية

تعد الضواحي امتدادا حضريا للمدينة، ولكنها ملحقة بها وليست كيانا وظيفيا مستقلا في الغالب، ويعود ظهور الضواحي إلى تطور النقل والمواصلات ورغبة السكان في تجنب ضوضاء المدينة. ويمكن تمييز ثلاثة أنماط من الضواحي:

أ-الضاحية المزروعة: وهي ظهير المدينة الزراعية، التي تمد المدينة بما تحتاجه من الخضار والمواد الغذائية المختلفة.

ب - ضاحية المهاجع (النوم): تسمى أحيانا بضواحي المهجع أو ضواحي الاستيطان أو ضواحي الاستهلاك تتضمن الضواحي السكنية ووظيفتها توفير السكن الهادئ، وأكثر المساكن معدة لأسرة واحدة وتظهر بشكل فيلات

ج- الضاحية الصناعية: نشأت هذه الضواحي نتيجة لهجرة المصانع خارج المدن بعد أن توسعت المصانع وزاد إنتاجها كان لابد لها الانتقال من المناطق السكنية في المدينة المركزية والتحول إلى خارجها والظهور بمكان رخيص وقريب منها وقد صحب هذه المصانع إنشاء مناطق سكنية للعمال.

5- العوامل المؤثرة على النمو العمراني

هناك بعض العوامل التي تؤثر بل تساعد على ظهور الامتدادات العمرانية للمدن، وهذه العوامل تتغير حسب طبيعة كل مدينة وظروفها الخاصة وميزاتها النسبية فالمدينة التي تقع على نهر غير مثيلتها التي تقع في منطقة صحراوية غير التي تقع على منحدرات جبلية، والمدينة ذات القرارات السياسية المتغيرة غير التي تتسم بالثبات النسبي، وهذه العوامل هي:

5-1- العوامل الطبيعية والموقع

تمثل العوامل الطبيعية أهم العوامل التي تؤثر في النمو العمراني للمدينة وذلك أن امتداد كل مدينة يتزايد أو يتناقص حسب:

5-1-1- طبيعة وإمكانيات التشكيلات الطبيعية للموقع العام: كأن تمتد المدينة على ساحل بحر أو نهر فنجد أن هذا العامل الطبيعي هو عامل محفز لظهور وزيادة هذه الامتدادات، أو يكون الموقع في منطقة مفتوحة فنجد أن العامل الطبيعي هنا هو عامل محايد لا يزيد أو يقلل من النمو، أو يكون الموقع العام ذو طبوغرافية شديدة التباين بين الارتفاع والانخفاض مما يؤثر في طبيعة وحجم النمو العمراني الذي يكون بطيئا لصعوبة الامتداد.

5-1-2-الموقع والطبيعة الجغرافية (الأهمية الوظيفية): قد يفرض على مدينة ما الصبغة المركزية أو أن تقع المدينة على ميناء بحري هام، أو تقع في مركز التقاء شبكة طرق إقليمية مما يؤدي إلى زيادة النمو العمراني للمدينة تبعا للأهمية النسبية وطبيعة النشاط الخاص بها.

5-1-3- الظروف المناخية للمدينة: فالمدينة التي تقع في البيئة الصحراوية تختلف في امتداداتها العمرانية عن تلك التي تقع في بيئة باردة أو بيئة جليدية.

ويمكن استغلال تأثير هذا العامل في توجيه النمو العمراني بالصورة التي تتناسب مع المخططات العمرانية وذلك بإنشاء محاور حركة مثلا أو خدمات إقليمية هامة في مناطق التوسع المرغوبة وخاصة في المناطق الصحراوية.

ونرى أن العوامل الطبيعية من أهم وأكثر العوامل التي تؤثر على النمو العمراني للمدن بسبب ظروف النشأة والتكوين لكل مدينة والتي تعتمد بشكل مباشر على العوامل الطبيعية.

5-2- العوامل البشرية

بشكل عام تؤثر الحالة الاجتماعية ومدى اختلاف مستويات السكان على حجم ومساحة التوسع العمراني للمدينة ويمكن أن نلخص أهم هذه العوامل فيما يلي:

5-2-1- الزيادة الطبيعية للسكان: يتدخل حجم السكان ومعدلات نموهم بشكل مباشر في التأثير على الكتل العمرانية المطلوبة لاستيعاب الزيادة السنوية، فالعلاقة بين معدل الزيادة السنوية للسكان في المدن وحجم الامتدادات العمرانية هي علاقة طردية، فمساحات النمو تزداد بزيادة عدد السكان، وتقل بالتالي تبعا لذلك.

4-2-2- الهجرة من الريف إلى الحضر وزيادة معدل النمو الحضري: كانت الهجرة من الأرياف والقرى إلى المدن نتيجة لعوامل ودوافع قد تكون طبيعية، اقتصادية، سياسية، اجتماعية وثقافية، ومن أبرز هذه العوامل الاقتصادية منها والاجتماعية

وهي التي تحتل الصدارة في عملية الهجرة وتتمحور الأسباب الاقتصادية حول انخفاض المستوى الاقتصادي والفقر والحاجة إلى البحث عن عمل قصد تحسين الدخل والمستوى المعيشي، أما الأسباب الإجتماعية تتمثل في نقص الخدمات التعليمية والصحية والترفيهية وتدنيها إن لم نقل انعدامها أما العوامل السياسية كانعدام الأمن والحروب بالإضافة إلى العوامل البيئية والطبيعية كالصحاري والمناطق غير المستقرة.

كل هذا أدى إلى انحسار الريف وارتفاع معدلات النمو الحضري الأمر الذي أدى بدوره إلى ظهور مناطق إسكان عشوائية التكوين على أطراف الكتل العمرانية للمدن وذلك لمواجهة احتياجات السكن نتيجة للخروج الريفي الحضري ومن ثم نشأت أحياء جديدة في صورة امتداد لأحياء قائمة أو تجمعات سكنية جديدة خارج حدود المدينة، وتعرف هذه العملية بالنمو الحضري العالمي (التحضر) وهي ظاهرة عالمية نتج عنها زيادة سكانية تركزت في المراكز الحضرية والمدن.

5-2-3- شبكة الطرق

اتفق المخططون على أن شبكة الطرق هي أساس عناصر ربط وانتشار العمران، حيث تقوم برط عناصر المدينة بعضها ببعض، كما أنها تساعد على انتشار العمران وامتداده في الضواحي.

5-3 - العوامل الاقتصادية

تعتبر العوامل الاقتصادية من العوامل التي لها تأثير على جذب العمران في اتجاه الأنشطة الاقتصادية وأماكن توافر العمل أو في اتجاه الأراضي ذات الأسعار المنخفضة والتي لا يعوق النمو فيها أي عوائق، ويمكن الاستفادة من تأثير هذا العامل كعنصر جذب للعمران في الاتجاهات المرغوبة وذلك بإنشاء المصانع والمشروعات الاقتصادية وغيرها من الأنشطة أيضا بالقرب من المناطق والاتجاهات المفضلة للتوسع وخاصة المناطق الصحراوية حتى نبتعد عن الامتدادات العشوائية للمدن وخاصة تلك التي تكون على أراض زراعية فعندما تظهر الصناعات في إحدى هوامش المدينة تنمو الضواحي السكنية الصناعية المرتبطة بها حتى لو كانت خارج الدائرة القصوى لنمو المدينة، لسهولة إمكانية الوصول بين هذه الضواحي السكنية الصناعية والمنطقة الصناعية، كذلك عندما تظهر منطقة أعمال فرعية في مناطق أكثر تطرفا من النطاق المعمر للمدينة يشجع ذلك على السكن في هوامش المناطق الحضرية خارج الدائرة القصوى لسهولة إمكانية الوصول إليها بهدف التسوق.

5-4- العوامل السياسية

تتدخل العوامل السياسية في كثير من الأحيان في التأثير على بناء وتركيب المدن فيتحول التجمع الصغير أو المركز الريفي إلى مدينة حضرية كبيرة بصدور قرار سياسي وبالتالي تتغير معها مكونات هذا التجمع ليفي بالمتطلبات الحضرية للتجمع الحضري الجديد، كذلك يصدر القرار السياسي باعتبار بعض المدن مدناً حرة ومفتوحة فتتحول إلى مدينة كبيرة تظهر

فيها التوسعات العمرانية عن طريق زيادة الأنشطة المختلفة والكتلة العمرانية للمدينة لملاءمة الظروف الجديدة للمدينة، من هنا يظهر تأثير القرارات السياسية كأحد المؤثرات الهامة في تركيب وبناء وامتداد الهيكل العمراني للمدينة.

5-5- العوامل الإدارية

بالرغم من عدم وضوح تأثير هذه العوامل في الوقت الحالي في توجيه النمو العمراني إلا أنها من أهم العوامل التي يجب أن تزداد أهميتها مستقبلا حيث أن العديد من المشاكل تظهر نتيجة للامتدادات العمرانية العشوائية التي تتخذ اتجاهات لا تتفق مع خطط التنمية بل العكس قد تضر بها في كثير من الأحيان بالتعدي على الأراضي الزراعية. والشكل (03) يوضح ذلك.

شكل رقم (03): العوامل المؤثرة في النمو العمراني